سلسلة :
إيقاظ أهل الإيمان لمغفرة رمضان (١)

حال المؤمنين في
شَعْبَان

لفضيلة الشيخ
د. محمد الدبيسي
حفظه الله وعفا عنه

الطبعة الخامسة

الطبعة الخامسة

شعبان ١٤٣٤هـ - يونيو ٢٠١٣ م

رقم الايداع: ١١٩٣١ / ٢٠١٣
الترقيم الدولي: ٣ - ٠٧٤٠ - ٩٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد..

هذه هي الطبعة الخامسة لهذا الكتاب، قمنا فيها بإدخال بعض الزيادات والتنقيح على الطبعة السابقة حتى يزداد نفع إخواننا بهذا الكتاب المبارك.

وأغلب هذه الزيادات توجد في الجزء المتعلق بالقرآن الكريم، وبعض الحواشي المتعلقة بتوضيح بعض المعاني في الأحاديث النبوية الشريفة، وقد بلغت هذه الزيادات أكثر من عشرين صفحة، نسأل الله تعالى أن ينفع بها. ومما ينبغي الإشارة إليه أنه بالرغم من كون هذه الرسالة تركز على حال المؤمنين في شهر شعبان للتأسي بهم إلَّا أنَّ كثيرًا من موضوعاتها – كالإخلاص وتعمير أوقات الغفلة بالطاعات وقيام الليل وأحوال المؤمنين مع القرآن ..الخ- هي لكل الأزمنة. والله العظيمَ نسأل أن ينفع به مؤلفه والناظر فيه وكلَّ مَنْ شارك في نشره ابتغاء وجه الله تعالى.

مسجد الهدي المحمدي

شعبان ١٤٣٤ هـ - يونيو ٢٠١٣م

مقدمة الطبعة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره. ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِل فلا هاديَ له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ..

فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله تَعَالى، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى الله عليه وعلى آله وسَلَّم، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

اللهم صلِّ على محمدٍ النبيِّ وأزواجِه أمهاتِ المؤمنين وذُرِّيَّتِه وآلِ بيته كما صليتَ على آل إبراهيم إنكَ حميدٌ مجيدٌ.

فهذه بعض خطب اخترناها من مجموعة خطب "إيقاظ أهل الإيمان لمغفرة رمضان" في أهمية الاستعداد لموسم المغفرة في رمضان لفضيلة الشيخ/ محمد الدبيسي حفظه الله تعالى وعفا عنه ، وهي تُبَيِّن "حال المؤمنين في شعبان" حتى يكونوا أهلا لمغفرة الله تعالى ورحمته، وحتى تكون هذه الأحوال سببا بعد فضل الله في عتقهم من النار في رمضان .

وقد آثرنا هذه المجموعة لكونها مختصرة تلائم همم الناس وعزائمهم اليوم، وإلا فهناك مجموعة من الخطب توسعت في عرض تلك المواضيع، وزادت عليها، نأمل أن نستفيد منها في تنقيح هذه الخطب وزيادتها والبسط لتك الموضوعات المهمة، لتكون زاداً للمؤمنين المتقين لتحصيل أسباب نجاتهم ، والمسارعة والمنافسة في تحقيق رضوان الله وفضله .

ومن الأهمية بمكان أن نُذَكِّر بمسئولية المؤمنين الجسيمة في رفع البلاء النازل على أقطار الإسلام المختلفة ، وإن مما يخفف ذلك ويرفعه أن يستغل المؤمنون هذه الأوقات الشريفة في العودة إلى الله والمجاهدة على أعمال الطاعة ، وإصلاح ذات البين ، مع الأشواق العالية لمحبة ربهم ولقائه حتى يكونوا أهلا لرحمة الله ونصره.

وإن التسويفَ والتأخيرَ وطولَ الأمل للتوبةِ والأعمال الصالحة التي تُرْفَع إلى الله ويُضاعفُ أجرُها في هذه الأيام الكريمة ، لما يزيد الجفوةَ بين المؤمنين وبين ربهم ، ويزيد من غفلتهم، ويزيد مِنْ تسلُّط أعدائهم عليهم، وإذا بهم يخرجون من رمضان كما دخلوا فيه، وقد خاب وخسر من أتى عَليه رمضان فلم يغفر له.

وكعادتنا في استعجال تفريغ وطبع تلك الرسائل تلاحقنا أخطاء كثيرة نرجو من الله العون على تلافيها ، والعذر من القارئ لها مع النصح والدعاء بظهر الغيب ، فما كان فيه من خطأ فمنا ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان ، وما كان من صواب فمن الله وحده فله الحمد والثناء الحسن ، نسأل الله أن ينفع به قائله وكاتبه وناشره والناظر فيه .

مسجد الهدي المحمدي

ميدان طور سيناء- الظاهر

القاهرة

شعبان ١٤٢٧ ، أغسطس ٢٠٠٦

الفصل الأول:

أسباب الاهتمام بشهر شعبان:

- لأنه مقدمة لموسم المغفرة.
- لأن تعمير أوقات غفلة الناس بالطاعة والعمل الصالح يرفع الله تعالى به البلاء عن بقية المؤمنين.
- الوفاء بعهد المؤمنين مع الله تعالى استعدادا لرمضان.

إِنَّ مِنْ رحمة الله بعباده أن يَسَّر لهم مواسم الخيرات والطاعات، وجعل لهم في أيامه نفحات ليتعرض لها العباد(١)، ويرجع العاصون المذنبون لحظيرة الطاعة، ويتوبوا إلى الله ﷻ، فتشملهم رحمته، ومغفرتُه.

فها هي قد أَظَلَّتنا مواسم المغفرة، ومواسم الطاعات، وها هي الشهور المباركة تُهِلُّ علينا، وكأنها تَصِيح بنا: أَنْ تَجَهَّزوا فَقَد قَرُبَ مجيء الحبيب !!

ها هي الأيام تُطوى، وها هو الزمان قد استدار، وها هو الغائب المنتظَر قد قَرُب مجيئُه؛ إنه شهر الله رمضان، شهر الخير، شهر الصيام، شهر القرآن، شهر القيام، شهر الصدقة... إنه شهر الرحمات.

---

(١) عنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ الله، فَإِنَّ لله نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ**». أخرجه الطبراني في الكبير (ح: ٧٢٠) ط. مكتبة العلوم والحكم – الموصل.وحسّنه الشيخ ناصر في الصحيحة (١٨٩٠). قوله: «**افْعَلُوا الْخَيْرَ**»الخير هنا جميع أنواع البر (**دهركم**) أي مدة حياتكم جميعها؛ لأن الإنسان لا يعلم نجاتَه في أي محل ولا في أي وقت تحصل، (**وتعرّضوا**) أي اقصدوا ، أو من التعرض؛ وهو الميل إلى الشيء من أحد جوانبه (**لنفحات رحمة الله**) أي اسلكوا طرقها حتى تصير عادةً وطبيعة وسجيةً، وتعاطوا أسبابها وهو فعل الأوامر، وتجنب المناهي، وعدم الانهماك في اللذات والاسترسال في الشهوات، رجاءَ أن يهب من رياح رحمته نفحة تُسعدكم، أو المعنى: اطلبوا الخير متعرضين لنفحات رحمة ربكم بطلبكم منه ..... وفي «الصحاح» للجوهري: «**نفح**» الطيبُ، أي فاح ونفحت الريحُ هبت ، ونفحةٌ من عذاب قطعة. وفي «المصباح»: نفحَهُ بالمال: أعطاه، والنفحة العطية. (**فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده**) المؤمنين فداوموا على الطلب فعسى أن تصادفوا نفحة من تلك النفحات فتكونوا من أهل السعادات.» انتهى بتصرف كثير واختصار من الفيض للمناوي رحمه الله تعالى.

فمِن هنا كان ينبغي أَنْ نُخَصِّصَ حديثًا نُذَكِّر فيه بما ينبغي أَنْ يكون عليه المرءُ هذه الأيام من الاستعداد لتلك المواسم، وتلك الرحمات؛ حتى يَمُنَّ الله علينا بأن نكون من أهل الرحمة الذين تشملهم رحمةُ الله.

فقد أَزِفَ شهر شعبان، وهو شهر له خصوصيته عند النبي ﷺ، وله تعظيمه الذي ينبغي على المؤمنين أن يُعَظِّموه مثلما عَظَّمه النبي ﷺ حيث أنه كان «**يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ**»(١)، وفي رواية: «**إِلَّا قَلِيلًا**»(٢)، وقال لما سُئِلَ ﷺ عن صيامه لشهر "شعبان": «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاس عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»(٣)، وذلك التعظيم من النبي ﷺ كان له **أسباب منها:**

الأول: أن رمضان موسم المغفرة، وينبغي على كل أحد -يريد الله تعالى والدار الآخرة- أن يهتم لهذه المغفرة، وأن يبذل لها وسعه، وذلك لما هيَّأ الله تعالى فيه من أسباب الرحمة والمغفرة والرضوان والعتق من النار.

(١) البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦) من حديث عائشة ﵂. وعن عَائِشَةَ ﵂ أيضا تَقُولُ: «كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبَانُ» أخرجه النسائي (٢٣٥٠) وأبو داود (٢٤٣١) وسكت عنه، وصحّحه الشيخ ناصر الألباني في صحيح النسائيّ (٢٣٤٩). وعنها أيضًا في صحيح البخاري (١٩٦٩)، وبنحوه في صحيح مسلم (١١٥٦): «وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِى شَعْبَانَ»

(٢) مسلم (١١٥٦) من حديث عائشة ﵂.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٠١) مرفوعا إلى النبي ﷺ من حديث أسامة بن زيد ﵁، قال الشيخ شعيب في التحقيق: إسناده حسن.

فقد قال النبي ﷺ :« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[1]،

وقال : «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ ، وَلاَ يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ »[3].

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ: البخاري (٣٨)، مسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ ، « قوله «إيمانا» أي تصديقًا بأنه – أي صومَ رمضان– حقٌ وطاعةٌ، قوله «واحتسابًا» أي إرادةَ وجه الله تعالى، لا لرياء ونحوِه، فقد يفعل الإنسان الشيء الذي يعتقد أنه صادق، لكنْ لا يفعلُه مخلِصًا، بل لرياء أو خوفٍ أو نحوِ ذلك، يُقال «احتسابًا» أي حسبةً لله تعالى، يقال احتسبتُ بكذا أجرًا عند الله تعالى، والاسم الحسبة وهي الأجر، ... واحتسبتُ بكذا أجرًا عند الله، أي اعتددتُه أَنوِيْ به وجهَ الله تعالى، ومنه قوله عليه السلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا ». انتهى بتصرف من عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني. وقال الحافظ في الفتح: " قَالَ الْخَطَّابِيّ : اِحْتِسَابًا أَيْ عَزِيمَة ، وَهُوَ أَنْ يَصُومَهُ عَلَى مَعْنَى الرَّغْبَة فِي ثَوَابِهِ، طَيِّبَةً نَفْسُهُ بِذَلِكَ، غَيْرَ مُسْتَثْقِل لِصِيَامِهِ، وَلَا مُسْتَطِيل لِأَيَّامِهِ.". اهـ. وللمؤلف خطبةٌ صوتية مهمة بعنوان « الاحتسابُ و أثره في تحقيق المغفرة » من سلسلة خطب رمضانَ ١٤٢٨ هـ التي بعنوان «رمضان وتحقيق المغفرة »، فارجع إليها للمزيد من الإفادة. والسلسلة متوفرة على الشبكة العنكبوتية للمعلومات الإنترنت).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ: البخاري (٢٠٠٩)، مسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه ابن ماجه (١٦٤٤) ، قال المنذري : (إسناده حسن إن شاء الله تعالى) اهـ الترغيب (١٤٩١) ط. العلمية. قوله ﷺ «**إنّ هذا الشهر**» اسم الإشارة للتعظيم... «**قد حضركم**» أيْ فاغتنموا حضورَه بالصيامِ في نهاره، والقيامِ في ليله، «**وفيه ليلةٌ**» أي ليلةٌ واحدةٌ مبهمةٌ من لياليه، «**خير من ألف شهر**» أيْ فالْتَمِسوها في كل ليلة رجاءَ أنْ تدركوها، «مْن حُرمها» أيْ حُرِم خيرَها وتوفيقَ العبادة فيها، ومُنع عن القيام ببعضها، «فقد حُرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها» أيْ حتى يتخلّفَ عنها «إلا محروم» . انظر – =

بتصرفٍ كثير: مرقاة المفاتيح. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر:١-٥] . يُخبر اللهُ تعالى أنه أنزل القرآن ليلةَ القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله، عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .قال ابن عباس وغيره: أنزل اللهُ القرآنَ جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مُفصّلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.ثم قال تعالى مُعَظِّما لشأن ليلة القدر، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾عن مجاهدٍ قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألفَ شهر، فأنزل الله سبحانه هذه الآية: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ؛ قيامُ تلك الليلةِ خيرٌ من عملِ ذلك الرجل. وعن مجاهدٍ أيضًا: ليلةُ القدر خير من ألف شهر. قال: عَمَلُها؛ صيامُها وقيامُها خيرٌ من ألف شهر. وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي: يكثر تَنزلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويُحيطون بحِلَق الذِّكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له.وأما الرُّوح فقيل: المراد به هاهنا جبريل، عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام. وقيل: هم ضرب من الملائكة. كما تقدم في سورة "النبأ". والله أعلم.وقوله: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر. وعن مجاهد أيضًا في قوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطانُ أن يعملَ فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذًى.وقال قتادة وغيره: تُقضَى فيها الأمور، وتُقدَّر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾. وعن الشَّعْبِي في قوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ قال: تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر. انتهى بتصرفٍ كثيرٍ واختصارٍ من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى؛ تفسير سورة القدر.

وزاد: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »[1].

وله في كل ليلة عتقاء حتى إذا كان في آخر الشهر أعتق بعدد ما أعتق في الشهر كله، وأن الصائم دعوته لا ترد كما قال ﷺ :

«ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ لاَ تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»[2].

وقد أعان المؤمنين على تحقيق ذلك بقوله: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ . ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[3].

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ: البخاري (٢٠١٤)، مسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى عن أنسٍ بن مالكٍ ﷺ مرفوعا (ح: ٦٦٢٠) - مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد- ط ١، قال النووي في خلاصة الأحكام: إسناده صحيح على شرطهما. اهـ (ح: ٣٠٨٠) مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ ،سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) رواه الترمذي واللفظ له (٦٨٢) وقال:غريب، وابن خزيمة في صحيحه بنحوه (١٨٨٣)، وابن حبان (٨/ ٢٢١) وقال الشيخ شعيب في التحقيق (إسناده قوي) ، والحاكم في المستدرك (١٥٣٢) وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين. قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وَقَوْلُهُ " صُفِّدَتْ " ... أَيْ شُدَّتْ بِالْأَصْفَادِ ؛ وَهِيَ الْأَغْلَالُ، وَهُوَ بِمَعْنَى سُلْسِلَتْ.. وفِي تَصْفِيد الشَّيَاطِين فِي رَمَضَان إِشَارَة إِلَى رَفْع عُذْر الْمُكَلَّف، كَأَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: قَدْ كُفَّتْ الشَّيَاطِينُ عَنْك فَلَا تَعْتَلَّ بِهِمْ فِي تَرْكِ الطَّاعَةِ وَلَا فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ.» اهـ من فتح الباري. «صُفِّدَتْ الشياطينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ » المردة جَمْعُ مَارِدٍ كَطَلَبَةٍ وَجَهَلَةٍ ، وَهُوَ- أي المارد- الْمُتَجَرِّدُ لِلشَّرِّ ، وَمِنْهُ الْأَمْرَدُ لِتَجَرُّدِهِ مِنْ الشَّعْرِ ، وَهُوَ- أي العطفُ- تَخْصِيصٌ بَعْد تَعْمِيمٍ، أَوْ عَطْفُ تَفْسِيرٍ وَبَيَانٍ كَالتَّتْمِيمِ . وَقِيلَ الْحِكْمَةُ فِي تَقْيِيدِ الشَّيَاطِينِ وَتَصْفِيدِهِمْ كَيْ لَا يُوَسْوِسُوا فِي الصَّائِمِينَ . وَأَمَارَةُ ذَلِكَ تَنَزُّهُ أَكْثَرِ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الطُّغْيَانِ عَنْ الْمَعَاصِي وَرُجُوعِهِمْ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.» اهـ من تحفة الأحوذيّ بتصرف كثير. « «وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ =

ومن ثَمَّ لم يكن عذرٌ حينئذ لأحد فقال ﷺ حاكيًا عن جبريل عليه السلام: «مَنْ أَتَى عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَه أَبْعَدَه اللهُ، أَدْخَلَه النَّارَ . قُلْ آمِين . فَقُلْتُ: آمين»[1] .

والسبب الثاني : تعمير أوقات غفلة الناس بالطاعة والعمل الصالح الذي يرفع الله تعالى به البلاء عن بقية المؤمنين.

وهو الأمر التالي الذي ينبغي على أهل الإيمان أن يهتموا به؛ أنَّ "شعبان" فُتِحَ ليتحمل المؤمنون مسئوليتهم فيه من العمل الصالح الذي يرفع الله تعالى به البلاء عن بقية المؤمنين، فمسئولية المؤمنين أمام الله تعالى، ومسئوليتهم تجاه أمتهم، وحفظِ دينهم مسئوليةٌ عظيمةٌ، وهي في محل الخطر؛ لأن ما نزل بغيرهم من المؤمنين المقصرين في أقطار الإسلام الأخرى من هلاك أو استضعاف أو بلاءٍ أو شدة يوشِك

النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ » ...فيه إشارة إلى أن الأزمنة الشريفة والأمكنة اللطيفة لها تأثيرٌ في كثرة الطاعة وقلة المعصية، ويشهد به الحس والمشاهدة، لتغتنم الفرصة، ويشير إلى هذا المعنى قولُه: « وينادي مناد» أي ... ببيان المقال من عند الملك المتعال «يا باغي الخير» أي يا طالب العمل والثواب «أقبل» أي إلى الله وطاعتِه بزيادة الاجتهاد في عبادته وهو أمرٌ من الإقبال، أي تعال فإن هذا أوانُك؛ فإنك تُعطَى الثوابُ الجزيل بالعمل القليل، أو معناه: يا طالب الخير المُعرِض عنا وعن طاعتنا أقبل إلينا وعلى عبادتنا، فإن الخير كله تحت قُدرتنا وإرادتنا، «ويا باغي الشر» أي يا مُريد المعصية ... أي أمسكْ عن المعاصي، وارجع إلى الله تعالى؛ فهذا أوان قبول التوبة وزمان الاستعداد للمغفرة. ولعلَّ طاعةَ المطيعين وتوبة المذنبين ورجوعَ المقصرين في رمضان من أثرِ النداءين ، ونتيجةِ إقبال الله تعالى على الطالبين... «ولله عتقاء» أي كثيرون من النار، فلعلك تكون منهم «وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»» اهـ بتصرفٍ يسير من مرقاة المفاتيح للملا على القاري رحمه الله تعالى.

(١) من حديث أبي هريرة، رواه ابن حبان (٣/ ١٨٨) في صحيحه، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

أن ينزل بهم؛ لأن ما نزل بغيرهم إنما نزل لنفس الأسباب التي يقعون هم فيها في هذه الأيام، فيوشك أن يكون شأنهم نفس الشأن، ويوشك أن يكون مصيرهم نفس المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، عياذًا بالله من ذلك.

وإذا كان المؤمنون ينبغي أن يكونوا مُستعدين على كل حال فإنهم في تلك الأيام من أيام المغفرة ينبغي **أن يَسْتَعِدُوا من أول يوم في شعبان**، لأن أيام المغفرة تأتي لِيَزْدادُوا فيها استعدادًا، وَلِيَزْدادوا فيها عملًا، وليزدادوا بها قُرْبًا من الله، وليزدادوا فيها اجتهادًا، فمن كان مقصِّرًا أقلع، ومن كان مستقيمًا ازداد، ومن كان مُتَهَيِّئًا للرحمة إذا به يزداد من تلك الرحمة، ومن هذا التقرب إلى الله تعالى.

فإذا لم يحاول المؤمنون المهتمون اليوم أن يقوموا بتلك المسئولية الضخمة وبهذه الأعباء فَمَنْ يقوم بها؟!

وإذا لم يبلوا البلاء الحسن، وإذا لم يدفعوا هُم فمن يَدْفَعُ ومن يبلي؟!

وإذا لم يجتهدوا في القيام بتلك الأوامر النبوية من التحقق بأسباب المغفرة فمن يجتهد؟!

وإذا ظلَّ الاجتهادُ هو مشكلةَ المؤمنين وعُقدتهم... وظلت نواياهم غيرَ معقودة عليه، ولا مُهْتَمَّةٍ به حتى في تلك المواسم من مواسم المغفرة، **فمتى تنعقد تلك النوايا على الاجتهاد؟**

جاء "**شعبان**" إذن ليتعلم فيه المرء هذا الاجتهاد وليكون هو المُقَدِّمَةَ لتلك المغفرة التي ينبغي أن يستعد المؤمنون لها الاستعداد الجيدَ -الذي طالما قصَّر- فيه

المؤمنون- وقالوا قولهم المعتاد الذي نسمعه كل عام بعدما خرجوا من رمضان كما دخلوا فيه: «إن شاء الله من العام المُقْبِل سوف نحاول، وسوف نبدأ، وسوف نُعِدُّ أنفسنا من أول يوم، وسوف لا يضيع علينا "رمضان" كما ضاع من قبل!» وكذا، وكذا مما نسمع من هذه الأماني، وتلك العهود التي يُعَاهِدُ المؤمنون ربهم وأنفسهم أن يتحققوا بها، وأن يلتزموا بمقتضاها، وأن يُوَفُّوا بها لله تعالى.. ثم يعودوا سيرتهم الأولى السيئة المعلومة ! فكم من قائل إنه سيبدأ وسيحاول ، ثم تغلبه نفسه أو يغلبه شيطانه ، وينقض عهده مع الله !

وقد أضافت هذه العهود السابقة سببا ثالثا للاهتمام بشهر شعبان.

السبب الثالث: الوفاء بعهد المؤمنين مع الله من الاستعداد لرمضان

فقد كان المؤمنون عندما انقضى "رمضان" الماضي، والذي قبله، والذي قبله، يقولون: من الذي حصَّل المغفرة؟ من الذي حصَّل العِتق من النَّار؟

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ المَقْبُولُ فَنُهَنِّيَهُ ومَنْ المَرْدُودُ فَنُعَزِّيَهُ

ثم خرج المؤمن من رمضان وعاد فجأة إلى دنياه، وإلى كَسَلِهِ، وإلى غَفْلَتِهِ، وإلى بُعْدِهِ، ولم تَعُدْ حاله كما كانت على هذه الأحوال الحسنة في "رمضان" فإذا به يَتَحَسَّر على ذلك، ويَحْزُن لما صار إليه فجأة بعد أن كان في حالة عالية، وأحوال سَنِيَّة، وأعمال رَضِيَّة، إذا به ينتقل إلى العكس، وكأنه لم يكن في "رمضان"! فلا قيام، ولا صيام، ولا ذِكْر، ولا قرآن، ولا شيء. وإن كان ثَمَّ شيء من ذلك فهو قليل متقطع شملته الغفلة. ثم يُعاهد ربَّه أن يعوض ذلك في شعبان القادم، وأنه سيبدأ فيه من أول يوم.

فهؤلاء قد أتاهم "**شعبان**" ليكون الموسم الذي فتحه الله جل وعلا لهم ليدركوا هذه العهود، وليكون تقدمة "**لرمضان**" لِيُنَفِّذوا عهودهم، لِيُوَفُّوا بما عاهدوا الله تعالى عليه؛ ليُثبتوا أنهم مُتحمِّلون لتلك المسئوليات، وأنهم لن يقصِّروا فيما قصروا فيه من قبل، وإنما قد جاءتهم الفرصة ليُرُوا ربهم سبحانه وتعالى، أنهم حقًا يريدون مغفرته، وأنهم حقًا يريدون أن يعتقهم من النار، وأن يخرجهم من الحالة الراكدة التي هم فيها ، ليخرجهم من ذلك كله ﷻ؛ بعفوه، وفضله وَمَنِّهِ إلى حال أحسن، وإلى موسم أعظم، وإلى تلك المقامات السامية مع الله تعالى التي يرضى عن عباده فيها.

جاء هذا الموسم ليحقق لهم ما فات عليهم في المواسم السابقة، ها قد فتح الله تعالى في أعمارهم؛ كانوا يتمنون بعد "**رمضان**" ماضٍ ، لو يأتي عليهم "**رمضان**" آخر، فإنَّ النَّبي ﷺ قال: «**وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**»[1]، ها قد جاء وقتهم ليوفُّوا بعهودهم.. **تُراهم يوفُّون ؟!**

هُمْ بين أمرين: إمَّا أن يكونوا كسابق عهدهم، وإمَّا أن يُوَفُّوا مع الله تعالى لِعِلْمِهم أنَّه يمكن أن لا يعود عليهم رمضان مرة أخرى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥) وقال: "حديث حسن غريب"، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٨٩) قال الشيخ شعيب في التحقيق: (إسناده صحيح على شرط مسلم) اهـ ، كلاهما يرويه من حديث أبي هريرة ﷺ. قال المنذري: (رَغِمَ - بكسر الغين المعجمة - أي لصق بالرغام وهو التراب ذلًا وهوانًا، وقال ابن الأعرابي: هو بفتح الغين ومعناه: ذل) اهـ من الترغيب (ح:٢٥٩٦) .

مَنْ الذي يضمن أن يعود عليه "رمضان" مرةً أخرى؟ ولو عاد إليه مَن الذي يضمن أن يُفتحَ له باب القبول خاصة وأنه لم يُوَفِّ من قبل، وقد خدعه الشَّيطان ومنَّاه أنَّه سيكون في رمضان أحسن مما كان في ذي قبل، ولم يحدث ذلك ؟!

مَنْ الذي ضَمِنَ قلبَه ؟ ومَنْ الذي ضمن أن يفتح الله تعالى له بابه؟! وقد رآه متكاسلًا؛ رآه يَدْفَع نعمة الله تبارك وتعالى، ويُعْرِضُ عنها، ولا يأخذها بقوة. هو قد أعْرَضَ عن هذه الرحمة، وعن تلك المغفرة ولم يبالِ بها، وأخذها بهذا التكاسل، وهذا التواني، وهذا الضعف..تُراه بعد ذلك يفتح الله تعالى له؟!

لذلك كان أول ما ينتظره المؤمنون من هذا الشهر هو **الاستعداد لرمضان كموسم من مواسم المغفرة**، فإنهم يعلمون إنهم إن لم يستعدوا لهذا الشهر كما كان حال النبي ﷺ وأصحابه، فإنَّ رمضان سينقضي- عليهم كما انقضى- غيره من قبل ، ويخرجون منه بالحسرة، ويخرجون منه بالحزن والألم، ويخرجون منه على الحال التي لا يمكن أن تتحقق بها المغفرة كما قال ﷺ فيها: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١) .

فَمَنْ الذي أحسَّ بهذه المغفرة بعد رمضان في الأعوام الماضية؟

ومن الذي أحسَّ بهذا العتق من النار بعد رمضان ؟

ومَن الذي أحسَّ برحمة الله تعالى تنزل عليه فينتقل مما هو فيه إلى الحال الحسن، وإلى استقامة أشد على طريق الله تعالى ؟

مَنْ الذي أحسَّ بذلك كله ؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ .

الفصل الثاني:

وظائف المؤمنين في شعبان

١- صيام شهر شعبان.

٢- تعمير أوقات الغفلة بالطاعات، والقرب إلى الله تعالى.

٣- مجاهدة النفس على الطاعات.

٤- تجهيز أحسن الأعمال لرفعها إلى رب العالمين.

٥- تحصيل مغفرة الرَّبِّ في ليلة النصف من شعبان.

٦- الانكباب على كلام الله تعالى وإدمان تلاوته.

٧- التهجد وطول القيام.

وأحاديث النبيِّ ﷺ التي ذكرنا هي مدخلنا إلى الكلام عن هذه الوظائف ليفهم منها المؤمنون حل مشكلتهم وعقدتهم في الاجتهاد وليتعلموا مواضع الاستعداد لـ"رمضان" ومواسم المغفرة، وأهمية الدفع عن المؤمنين وتحمل المسئولية التي أنيطت بهم، وخطر تعويض واستدراك ما فات مما كانوا يُمَنُّونَ أنفسهم به والوفاء بعهدهم مع الله.

قال ﷺ: «**ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاس عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»(١).

وكأنَّ "رَجب" و"رمضان" مِن الشُّهور التي يُعظِّمها المؤمنون، ثم يَغْفُلون عن "شعبان"، وهذه هي الحال التي نحن فيها، فما أن يأتي "شعبان" حتى يترك الناس الاجتهاد والطاعات ويقصرون فيها –وهم مقصرون أصلا– يقول القائل لنفسه: «ها قد أوشك "رمضان" ، وإن شاء الله في "رمضان" تُعَوِّض ذلك كله، وإنْ شاء الله في "رمضان" يكون اجتهادك زائدًا ... » ، ويظل يفتح له الشيطان باب التمني والأمل حتى يقعد عن العمل في "شعبان"، وحتى يتكاسل عنه !

وذلك ما تميل إليه النفس؛ لأنه كلما اقتربت تلك المواسم ضَعُفَت النَّفس عن العمل ؛ لأنها بتسويفها تظنّ أنها سَتُعَوِّض ذلك في "رمضان"، فإذا جاء "رمضان" على هذه النفوس الضعيفة، وعلى هذا الإقبال الضعيف على الله تعالى لن يجدي "رمضان" شيئًا؛ أتاهم وهم خائبون، فانصرف عنهم وهم كذلك، فعادوا إلى الخيبة والخسارة التي نراها كل عام، إلا من رحم الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه في الحاشية . انظر ص ١٠.